

## 260962 - عقوبة العجب والفخر والخيلاء وطريق التخلص منها .

### السؤال

نود أن نعرف الفرق بين العجب والفخر والخيلاء ، وهل هي أمراض في النفس ، أم تكتسب من المحيط ، والبيئة ، والأسرة ؟ وكيف يمكن للمرء أن يعرف أنها موجودة فيه ؟ وما سبل التخلص منها ؟ وما عقوبتها ؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

العجب : شدة سرور المرء بخصال نفسه .

قال ابن القيم عن العجب " أصله : رؤية نفسه ، وغيبته عن شهود مئة ربه وتوفيقه " انتهى من الفوائد ص(152) .

والخيلاء : أن يرى نفسه فوق ما هي عليه ، أو ما تستحقه ، أو يرى الناس عظمة نفسه .

والفخر : هو التمدح بالخصال وذكر المناقب ، بتفضيل نفسه على غيره .

وهذه الخصال بينها من التداخل ما يجعلها مترابطة ، خاصة الفخر والخيلاء ؛ فلا يكاد يتصف أحد بخصلة منها ، فيسلم من أختها .

وكأن هذه الصفات قنوات تنبع من معين واحد وهو : الكبر ، وتخيل عظمة نفسه وفضله ، وإرادة تعظيم الخلق له ، وحمدهم له .

ولذلك كثيرا ما نجدها مقترنة مع بعضها ، كما في قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ) النساء : 36 ، وقوله سبحانه : ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ) ، لقمان : 18 : ( وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ) سورة الحديد : 23 .

قال ابن عطية : "يقال خال الرجل يخول خولا : إذا تكبر وأعجب بنفسه" انتهى من "المحرر الوجيز" (2/51) .

وقال ابن كثير : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ) أَي : مُخْتَالًا فِي نَفْسِهِ ، مُعْجَبًا مُتَكَبِّرًا ، فَخُورًا عَلَى النَّاسِ ، يَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَقِيرٌ ، وَعِنْدَ النَّاسِ بَغِيضٌ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (2/301) .

وقال ابن القيم :

"فالفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغي والخيلاء والظلم والقسوة والتجبر والإعراض وإباء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلوّ وحب الجاه والرئاسة وأن يحمد بما لم يفعل وأمثال ذلك = كلها ناشئة من الكبر" انتهى من "الفوائد" ص(209) .

ثانيا :

من الناس من يكون مجبولا على شيء من الصفات السيئة من الخيلاء والعجب والفخر والكبر وغيرها ، فيجاهدها حتى يعافيه الله منها .

ومنهم من يكون معافى منها ، ولكنه لا يزال يسير في طريق اكتسابها ومصادقة أصحابها ، حتى تصير وصفا ملازما له .

ولا يخلو قلب من القلوب من أسقام لو أهلمت تراكمت وترادفت ، وجميع الناس يكون فيهم شيء من صفات الخير ، وشيء من صفات الشر ، فمنهم من ينمي الصفات الحسنة فيه ، ويتخلص من الصفات السيئة حتى يصير كالذهب الصافي ، كما قال تعالى : ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ) الشمس/9 .

ومنهم بعكس ذلك ، وقد قال الله تعالى عنهم: ( وقد خاب من دساها ) الشمس /10

وينظر جواب السؤال (101023) .

ثالثا :

عقوبة الكبر والخيلاء والفخر :

الكبر صفة من الصفات التي لا تنبغي إلا لله تعالى ، فمن نازع الله فيها أهلكه الله وقصمه وضيق عليه ، وبما أن الفخر والخيلاء كلاهما من شعب الكبر ، فلكل متصف بشيء من ذلك نصيبه من الوعيد الوارد في الكبر .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : (الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَدَفْتُهُ فِي النَّارِ) رواه مسلم ( 2620 ) وأبو داود (4090) واللفظ له .

وكل من حاول الكبر والارتفاع خفضه الله تعالى في الأسفلين وجعله في الأذلين .

فالذي يتكبر على الناس يكون يوم القيامة مداساً تحت أقدام الناس فيذله الله تعالى ، جزاء ما كان منه من الكبر .

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي

صُورَةَ الرَّجَالِ، يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ مِنْ جَهَنَّمَ يُسَمَّى: بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَارِ، وَيُسْقَوْنَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ؛ طِينَةَ الْخَبَالِ ( رواه الترمذي (2492) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ( 2025) .

ومما ورد في عقوبة المعجب بنفسه ، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ( بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ) رواه البخاري ( 3297 ) ومسلم ( 2088 ) .

والنصوص في الوعيد على المتصف بهذه الصفات كثيرة ، وينظر في ذلك جواب السؤال (118095) .

رابعاً :

طريق معرفة هذه الآفات في النفس وسبل التخلص منها :

كثير من الناس جاهلون بعيوب أنفسهم ، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ، ولا يرى الجذع في عين نفسه ، فمن أراد أن يعرف نفسه ، فهو متصف بهذه الصفات السيئة أو لا ؟ وأراد أن يتخلص منها ، فله عدة طرق ، منها :

– أن يكون له شيخ عالم ، مؤدب مرب ، يدل على عيب نفسه ، ويعينه على التخلي عن رذائل الأخلاق ومساوئها ، والتخلي بمعالى الآداب والأخلاق .

– أن يتنبه إلى عيب نفسه ، من خلال نصح الناصحين ، وإرشاد الإخوان ، والمخالطين والمعاشرين له ، ولا يحمل غضبه لنفسه ، ولا حب الانتصار له على جحد الحق ، وهجر نصيحة الناصح له. وقد كان عمر رضي الله عنه يقول : "رحم الله امرأً أهدى إلي عيوبى" .

– أن يقرأ في كتب الأخلاق، ويتعرف منها على صفات المتكبرين والمعجبين بأنفسهم ، ويتعرف على أعمالهم، ويقيس ذلك على نفسه ، فقد يكون فيه بعض تلك الصفات وهو لا يشعر.

– أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه ، ولعل انتفاع الإنسان بعدو مُشاحن يذكِّره عيوبه ، يكون أكثر من انتفاعه بصديقٍ مDAHنٍ ، يُثني عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه .

– أن يخالط الناس ، فكل ما رآه مذموماً من أخلاق الناس وتصرفاتهم ، طالب نفسه باجتنب ذلك. قيل لعيسى عليه السلام : مَنْ أَدَبُكَ ؟ قال : ما أدبني أحد ، رأيت جهل الجاهل شيناً، فاجتنبته .

– أن ترى نفسك كالناس ، وأنهم مثلك ولدوا من أم وأب كما ولدت وأن التقوى هي المعيار الحق ، قال تعالى : ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات / 13 .

– أن يعلم أن الله عز وجل حقه أكبر مما عمل ، وأنه لو وزن أعماله كلها يوم القيامة ما سوت نعمة البصر مثلاً! فكيف بنعمة الهداية! وكيف بنعمة الإيمان! ويعلم أن الله هو الذي وفقه لهذا العمل ؛ فلماذا العجب ؟

– أن يكثر من دعاء الله تعالى بالهداية والتوفيق للأخلاق الحسنة واجتناب الأخلاق السيئة ، وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : (وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ) رواه مسلم (771) .

وينظر جواب السؤال (9229) ، (118095) .

والله أعلم .